المحاضرة الثامنة : النقد النفسي

تمهيد:

عمل الباحثين في العلوم الإنسانية على محاولة فهم العلاقة بين الأديب والابداع ، وفسروا ذلك منذ القديم بالوحي والتطهير والعبقرية، واقتربوا من نوازع الذات المبدعة لمعرفة خبايا الانسان بشكل عام، والدوافع الشعورية وراء عملية الخلق الأدبي، وتتبع اخبار المؤلف وسيرته وظهرت العيدي من السير والتراجم عبر العصور اعتمد فيه الباحث على تتبع ملامح البيئة والزمان والجنس والعوال النفسية والتاريخية الخ، فقد سعى الأدباء إلى الأدب للتعبير عن هواجسهم وعواطفهم وطرف تفكيرهم، عبر الزمن وتركوا لنا تجارب عميقة في الحياة، و**{هذا يعني أن الانتاج الأدبي هو أولا وقبل كل شيء انتاج نفس بشرية لها نوازعها ورغابتها ووعيها ولا وعيها وطرائقها في التفكير والمعالجة}**[1] ، لذا اجتهد النقاد والباحثين للولوج الى عالمه الداخلي لمعرفة طبيعة النفس البشرية،

وعليه، إن صلة الأدب بعلم النفس ليست بحاجة إلى شرح، فالأدب موضوع الانسان في ذاته وموضوع علم النفس هو ادراك الظواهر العامة التي لها صلة بالإنسان وبطريقة استجابته لها، نفهم من هذا **{إن العنصر النفسي أصيل في طبيعة الأدب مصدرا وغاية}**[2]. ، وتم الاستعانة بعلوم النفس البشرية لدراسة الأعمال الأدبية لفهم وتحليل الشخصية ومشاعر الشاعر والمبدع على ضوء قوانين نفسية، **{فعلم النفس قد يساعد في فهم نفسية الكاتب وتحليل الشخصيات الروائية ، لكنه قد يضلل الناقد بإقحامه في متاهات لا غنى عنها}**[3].

---

[1] - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط1، 2005، الاسكندرية، ، ص 50

[2] -الربعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، ط1، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة/الجزائر، 2000، ص22.

[3] - أنظر محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2008، ص41.

وعلى العموم، فالنقد النفسي هو محاولة عميقة لفهم الإنسان من داخله، لا من مظهره الخارجي فقط. إنه علم يسعى إلى اكتشاف ما يختبئ وراء الكلمات والتصرفات، وما يختزن في أعماق النفس من رغبات وأحلام وصراعات. فهو علم يراعي {**في مواقفه من الأدب أمورا عدة في مقدمتها مراحل نمو الانسان وتكون شخصيته، وما يعترض هذا التكوين من نقدم وانحسار أو كبت وانعتاق أو تفتح وانغلاق وما يحيط بتلك الشخصية من مؤثرات مصادرها علاقة المبدع بأسرته علاقته بمحيطه الاجتماعي وعلاقته العاطفية على وفق مراحل الموفهو مثل النقد الاجتماعي يحاول ان يقرا الأدب من خلال معانيه التي تمتد الى صاحبه**}[1] ،

إن الابداع بحسب مدرسة التحليل النفسي لا يمكن إلا أن يكون حالة نفسية مر بها الأديب ويحتوي على سبب له إما يكون حلم أو ظواهر وتعقيدات ذاتية ، وهذه الصفة سبق وأن قدمها أفلاطون حين درس محاورات ايون قديما، مستشعرا قدرة الشعر على اثارة العواطف، والضرر الذي يمكن أن يمارسه حين يغوي الآخرين، ويفتنهم، لهذا ترى أرسطو يركز على مفهوم التطهير الذي يحرر النفس من المشاعر: أي كانت مرح أو حزن، بالنسبة للمجتمع العربي ترى في القديم ميلهم إلى السليقة والطبع الذي يميز بعض الأشعار، يتخذونه غالبا في تمييزهم بين الشعراء وهذا ما قام به الجرجاني حين أرجع الملكة الشعرية الى الطبع والسليقة يقول في ذلك: {**لقد كان القوم يختلفون فيرق شعر أحدهم ويصعب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة**}[2] ،

ويبدو أن النقد النفسي اقترب من العقل الباطن مقسما الحياة العقلية للإنسان إلى قسمين: العقل الباطن والذي يطلق عليه باللاشعور أو اللاوعي، والعقل الظاهر أو الشعور والوعي، وبالتالي فإن تفكيرنا

[1] - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ،2003، ص56

[2] - أنظر الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص13 نقلا عن بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 51

الظاهر وتصرفاتنا الشعورية ما هي إلا نتيجة عمليات نفسية لا شعورية تجري في العقل الباطن مستقلة عن إرادتنا[1] ،

أ- رواد النقد النفسي:

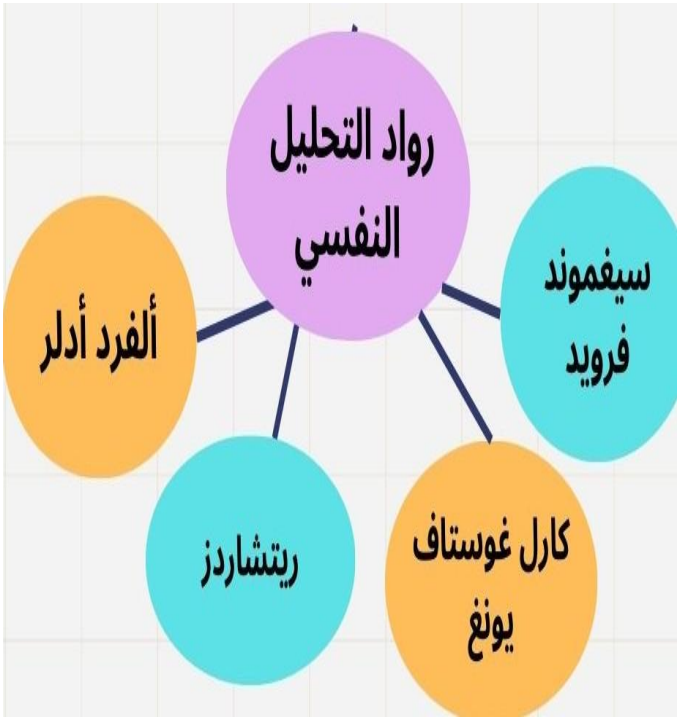

لقد ظهرت العديد من الدراسات التي وسعت أسس المنهج النفسي في الأدب وقدمت تحليلات لا تزال يشهد بأهميتها العميقة في الكشف عن الذات الانسانية،

يأتي الطبيب النمساوي **سيغموند فرويد**، على رأس المفكرين الذين وضعوا الأسس النظرية لهذا الاتجاه في أواخر القرن التاسع عشر. فهو المنظر الأول الذي وضع أسس النقد النفسي والقراءة النفسية للنصوص الأدبية وانطلاقا من فكرة التسامي ورغبات الانسان الشعورية واللاواعية،، فهو يرى أن الابداع الأدبي ما هو الا {**تنفيس عن رغبات جنسية مكبوتة في اللاشعور منذ عهد الطفولة والابداع النفي بذلك يستمد من عالم الجنس المكبوت في داخل الفنان وكأنه يحاول أن يشبع رغباته الجنسية المستسرة في نفسه بضرب من التسامي يعوضها به عما فقده في عالم الجنس الحقيقي**[2]، من أهم أفكاره: مفهوم اللاوعي، والكبت، وتحليل الأحلام، وبنية الشخصية (الهو، الأنا، الأنا الأعلى). كما قدّم نظرية المراحل النفسية-الجنسية في نموّ الطفل، ورأى أن الطفولة هي المرحلة الحاسمة في تكوين الشخصية.

[1] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 50

[2] - شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص107 نقلا عن الربعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي فنيات البحث العلمي، ص24

في كتابه تفسير الأحلام رأى أن الإنسان لا تحركه إرادته الواعية وحدها، بل تقوده قوى خفية تسكن في منطقة اللاوعي، و**{المبدع في نظره تأتيه أحلام وخيالات معينة تبدو ما في آثاره الأدبية وهذه الخيالات يردها البعض الى تجارب الطفولة وعقدها وتظهر بصورة معينة في الأحلام وفي الأساطير من**

هنا }[1]، فزحف في دراساته النفسية إلى عدد من الأدباء والفنانين مثل: جراديفا التي وقف فيها على تقنياته الرمزية ولوحات ليوناردو دافنشي وما كتبه عن عميد الرواية دوستوفسكي وكل ذلك وهو يحلل أهمية العقل الباطن في الابداع الفني وفي عملية الخلق الفني

إن مدرسة التحليل النفسي عند فرويد{ **ظلت تركز على الدو افع الجنسية من بين الدو افع الغريزية اللاواعية التي رأوها تقف وراء تشكل العمل الابداعي من مثل عقدة أوديب وعقدة إلكترا ومركب النقص عند أدلر** [2] ، وقد أثر هذا النفساني في توسيع زوايا النظر الى الأدب وظهور مدارس أدبية كالسريالية التي اقتربت من عالم الاحلام والرؤى وتوسع فن السيرة بسبب اقبال الباحثين على دراسة حياة المؤلف وسيرته، وانعكس على الرواية التي عكفت على البحث عن الشخصيات دوافعها المختلفة في الحياة،

وقد توسعت بعدها مع تلامذته كلا من كارل جوستاف يونج وإدلر، الذين تبنوا معظم مبادئه النفسية وأسسه، لكنهم يختلفون معه في بعض التفسيرات كغريزة حب الظهور مثلا : فرويد **{ يرى أن في**

[1] - سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، ، 2007، ص109

[2] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 54

العمل الأدبي موقعا أثريا ذا طبقات من الدلالات متراكم بعضها فوق بعد ولابد من الحفر فيها للكشف عن غوامضه وأسراره....لهذا فإن كل تعبير سلوكا كان او خيالا هو مجموعة معقدة من الرموز التي تحاول الكشف بطريقة غير مباشرة عما يتمنى هذا المرء فعله} [1] ،

لقد عني **ألفرد أدلر**، بما يعرف بعلم النفس الفردي والشعور بالنقص الذي يعتبره الدافع الأساسي في حياة الإنسان، مؤكدا أن الفرد يسعى دائما إلى التعويض، ان ما يميز ادلر ونظرته هو اهمامته بالجانب الاجتماعي فالدوافع اللاشعورية في تصوره لا يمكن أن تقدم بمفردها فهما متكاملا للطبعية البشرية، إذ لابد من تفاعل عالم الشخصية الباطني بالعلاقات الشيئية الموضوعية وبخاصة العلاقات الاجتماعية لأن الفرد في نظره ليس كائنا معزولا عن وسطه الاجتماعي} وهنا يؤكد الباحثون ان ميله الى التحليل الاجتماعي سبب في عدم تغييره لحركة التحليل النفسي خلالها اذ بقيت جهوده سطحية .

وقد عمل بعض الباحثين إلى ما أنتجه فرويد بشأن دراسة الأثر دراسة نفسية، فتوصوا الى تحقيق الصلة بينهما بين النقد الأدبي والتحليل النفسي مثل **شارل مورون*** **Charles Mauron** الذي وظف جهده لتحليل شعر راسين وملارميه سنة 1947 م،وترك ما سماه هو بالاستعارات الملحة الذي ظهر في كتابه الاستعارات الملحة والأسطورة الشخصية، و النقد النفسي للفن الكوميدي[2] ، لقد أقر الباحثون بمساهمته الفعالة في تطوير النقد النفسي في الأدب، إذ عمل على جعله أكثر منهجية ودقة. وقد تأثر بجهود فرويد لكنه لم يكتفِ بتطبيقها على حياة الكاتب وسيرته كما كان شائعًا، بل وجّه اهتمامه أساسًا إلى النصوص الأدبية نفسها، وقد حدد مراحل التحليل في بعض الخطوات:

---

[1] - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك، ص56

*شارل مورون هو ناقد أدبي فرنسي وُلد سنة **1899** م وتوفي سنة .**1966**اشتهر بتأسيس منهج نقدي يُعرف باسم النقد النفسي الموضوعي أو التحليل النفسي للنصوص الأدبية

[2] - أنظر سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق، ص110

- التعبير عن اللاوعي في العمل على شكل استعارات
- تبين هذه الاستعارات في كافة أعمال الأديب
- تحديد شبكات مجزية التي تورد الرغبات والمحرمات والدوافع
- تحديد الاسطورة الشخصية للمؤلف
- لا يمكن الحديث عن كائن عقلاني أي كان نوع المبدع فهوي يعد التجربة الانسانية ويستمى بدوافعه

لقد أسّس شارل مورون ما عُرف بالسيكولوجيا النقدية، وهي منهج يقوم على تحليل الأعمال الأدبية للكشف عن العالم النفسي العميق للمبدع. بهذا أسهم في نقل النقد النفسي من التركيز على سيرة المؤلف فقط إلى تحليل البنية الرمزية للنص الأدبي نفسه، مما جعله أحد أبرز المجددين في مجال النقد النفسي الأدبي ، للإشارة فإن مورون لم يبعد نهائيا الأبعاد الفنية للنص الأدبي، فهو كان يرى أنه من الأفضل العودة الى لغة النص الفنية بدلا من الاقتصار على قراءة أجزائه قراءة معرفية سطحية مبتذلة مؤكدا أن هؤلاء قد أهملوا بعدا أساسيا هاما من أبعاد الأثر الأدبي ألا وهو لغته الفنية[1] ،

يذهب في تحديد

طبيعة هذا الشعور الى ماهية مختلفة كونه يؤمن باللاشعور الجمعي الذي يقودنا الى استحضار الجماعات البشرية القديمة، فالفن {**ليس تعبيرا عن الجانب اللاشعوري من نفسية الفنان فقط و انما هو قبل ذلك تعبير عن اللاشعور الجمعي وهو أقوى من اللاشعور الفردي الذي يحتفظ بطفولة الفنان وعقدها لأنه يحتفظ بطفولة الجنس البشري جميعه وبذلك فالفن ... هو تعبير عن رواسب نفسية للتجارب الانسانية البدائية** }[2]،

[1] - أنظر سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق، ص112

[2] - الربعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي فنيات البحث العلمي، ص24-ص25

فالإنسان ممتلأ بمخزون ورواسب تأتيه من عصور سحيقة وتشكله ميراثه النفسي وكأنها رموز مألوفة عابرة[1] ،إن كارل غوستاف يونغ، وسّع مفهوم اللاوعي ليشمل للاوعي الجمعي، وهو مخزون رمزي مشترك بين البشر جميعًا. كما اهتم بالأساطير والرموز والأحلام، وركز على البعد الروحي في النفس، مخالفًا فرويد في تركيزه الكبير على الدوافع الجنسية يرى يونغ أن النفس الإنسانية أوسع من البعد الجنسي الذي ركّز عليه فرويد، وأنها تتكون من طبقات عميقة يتداخل فيها الفردي بالجماعي. وأكد أن الإنسان لا تحركه فقط رغبات مكبوتة، بل يسعى كذلك إلى تحقيق ذاته والوصول إلى التوازن الداخلي معتبرا الأحلام رسائل رمزية من النفس تهدف إلى تصحيح وعي الإنسان وإرشاده نحو النضج.

يصبح الفن في ضوء عمليات التحليل النفسي عبارة عن أعراض جانبية للمرض والعصاب والنقص وغيرها، لذا تراهم يعبرون عن تلك الرواسب المنحدرة اليهم، وقد اغنيت هذه الدراسات الفرويدية واليونغية التحليل النفسي، وفتحت المجال لتعدد الرؤى واختلافها، واضحت في بعض الأحيان محل جدل عميق، ظهر اتجاه نفسي يقوم أيضا بدراسة الظواهر الفنية دراسة نفسية يسمى بالجالشات وهو اتجاه بلور {**ملامح نظرية متميزة من مدرسة التحليل النفسي الفرويدي حيث قدمت هذه النظرية نفسها في طروحاتها النظرية الاساسية وفرضياتها العلمية لمختلفة وبخاصة عند ممثلها هربرت ويلر بديلا منهجيا واضحا**}[2]،

[1] - أنظربسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 55

[2] - المرجع نفسه، ص 50.

كان المنهج النفسي متبلورا في انجلترا عند ارنست جونز الذي قدم قراءات عن هاملت والانسة مودبودكين في كتابها النماذج العليا في الشعر وغيرهم، وايضا تجلى في كتاب **ريتشاردز** المعنون أصول النقد الأدبي ، وقد كانت لريتشارز نظرة مختلفة نوعا ما، حول العلاقة بين الأدب ونفسية الانسان، وشرح سبب تأثره بالشعر على وجه الخصوص، قائلا: **إن حياتنا النفسية الداخلية تموج بغرائز وأحاسيس وغرائز ودوافع وحوافز لاشعورية متنافرة تنافرا شديدا، إذ نلتقي فيها بالدين وبالإلحاد وبالاخلاق الرفيعة والمنحطة وبمتناقضات كل نوع** [1]، إن ريتشارز نبه على اختلاف وتنوع النوازع التي تدفع الانسان للتأثر بالأدب وبالتالي يمكن خلالها ان نخلق صورا عديدة استجابة للنص الأصلي بالنظر الى نفسيات من يقرأ النصوص. ويؤكد ريتشارز أن {**المهم في عملية التوصيل هو قدرة المبدع على استرجاع الحالة الشعورية الخاصة بالتجربة التي يريد التعبير عنها ويقظة الشعور هي التي تساعده على استعادة الحالة الشعورية للتعبير عنها بقوة**}، [2]

ب- نقد النقد النفسي:

لقد فرض النقد النفسي مكانته على الدراسات الأدبية والنقدية، وفتح الكثير من النوافذ لفهم ماهية العمل الإبداعي والجوانب الخفية في النفس البشرية، لكنه أيضا تعرض لانتقادات سرشة ولعل من أبرز العيوب التي تم نعت النقد النفسي بها هو معاملته التحليلية مع الأدب حيث ينظر اليه باعتباره وثيقة لكشف أمراض الذات بعيدا عن أي جماليات لغوية وفنية ، **وتقريبا نتائجه كلها لم ترض الساحة النقدية لأنه تحول الى تفسيرا لا تخدم جمالية القراءة النقدية بقدر ما تتوغل في أعماق الذات البشرية** المبالغة في التأويل

- إهمال الجانب الفني

[1] - شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص115نقلا عن الربعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي فنيات البحث العلمي، ص25

[2] - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك، ص61

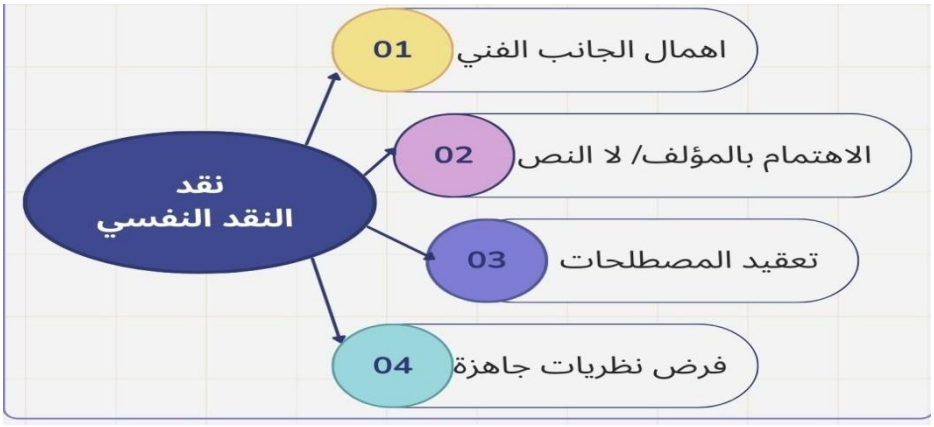

- ربط النص بالمؤلف
- تعقيد المصطلحات
- فرض نظريات جاهزة

ج- في الساحة العربية:

استقبل النقاد العرب المنهج النفسي مثلما استقبل باقي المناهج الأخرى، فانقسم بين مؤيد ومعارض، بين مقبل عليها في تحليلاته للأدب وللنصوص ، وبين نافر منها كونه تحول العلمية الابداعية الى مجموعة من العقد النفسية، لقد بدأ الاهتمام بالنقد النفسي في القرن العشرين، مع ترجمة أعمال فرويد ويونغ متأثرا بالمدرسة النفسية الأوروبية، وقد ظهر عدد من النقاد امثال العقاد والمازني ومحمد النويهي ومحمد خلف الله أحمد، ومصطفى سويف وغيرهم.

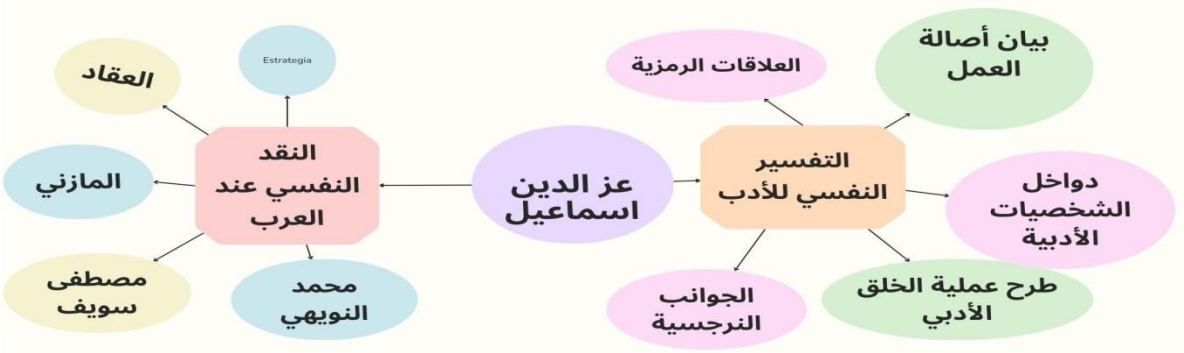

ويأتي على راس القاسمة **عز الدين اسماعيل** بكتابه المعروف **التفسير النفسي للأدب** ليعلن اهتمامه بالظاهرة النفسية في **النقد الأدبي العربي**،لقد خطى عز الدين اسماعيل خطوة عملاقة في الساحة العربية حين وقف على مجموعة من النصوص والأعمال الفنية مستفيدا من تحليلات فرويد وغيره، وعرج على طبيعة لعلاقات الرمزية التي تربط النصوص بنفسية صاحبها، وفسر ذلك راغب ببيان أصالة التجربة الابداعية وفرادتها، وكشف خلال تحليلاته عن دواخل الشخصيات الإبداعية ويبحث عن

دوافع الكتابة والجوانب النرجسية في شخصية الكاتب وعلاقة كل ذلك بالإبداع الى جانب طرح عملية الخلق الأدبي والعبقرية وغيرها.

كما قدم المازني تحليلات عميقة حول شخصية بشار بن برد العباسي، مستعينا بما قدمه إدلر في ميدان حب الذات وعقدة النقص، فيؤكد حسب بسام قطوس : {**إن ابداع بشار وولعه بهجاء الناس وشتمهم إلى عقدة نقص يعاني منها بسبب كونه أحد شعراء الموالي أولا وكونه شاعرا كفيفا ثانيا**}[1] ،

أما العقاد فاتجه إلى دراسة شخصية أخرى من بني عباس المعروفة وهي أبي نواس وطرح حوله عقدة النرجسية التي عرف بها، لم يكن العقاد ناقدا نفسيا بالمعنى العلمي مثل فرويد أو يونغ، لكن تحليلاته كشفت عن دوافع الشخصية النفسية والعاطفية.

[1] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 50